تاريخ الإرسال: 2014/03/24 - تاريخ القبول للنشر: 2014/05/25 تاريخ النشر: 2014/06/29

سوسولوجية الحركات الاجتماعية
بين التضليل الإعلامي والخواء الاجتماعي
-المجتمع العربي نموذجا-

القيزي عبد الحفيظ

جامعة الجلفة

تمهيد:

يشكل الإعلام اليوم مركز للتعريفات الخاصة والعمومية بالجمهور' لأنه يقدم وصف مصطلحات الحياة الاجتماعية في شكل شديدة الإثارة ' فجمهور القرن الحادي والعشرين صار يشاهد نفسه أكثر من أي جمهور عرفه التاريخ' فهو يرى نفسه في كل مكان مطارات' محلات' لوحات خارجية اشهارية و على النت ' التلفزيون في استطلاعات الرأي العام والأعمال الدرامية...الخ. فهذا بسبب تكاثر الشاشات والعلاقة بالأخرين والجسد والأحاسيس غير أن هذه الرؤية خاضعة لحدود صارمة يرسمها ملاك هذه القنوات لتمثيل مجموعات أو أقليات إما تضليلا أو تلاعبا' لأننا مع ذلك مستهلكون ممتازون لمنتجات هذه الشاشات نستهلك مختلف أشكال التعبير والرموز ' تصورنا عن الأخرأنثى أو ذكر نستهلك أيضا تصورنا عن الزمن والفضاء والعلاقات الاجتماعية ' الإيمان والاعتقاد' استعمالات الجسد بشقيها الاباحي الجنسي أو العنف وعن كل شيء' فشاشات اليوم أصبحت تشخص المفاهيم و تؤنسنهاكل ذلك مرتبط بمجتمع الوفرة ووجود مستهلك تتحدد رغباته ضمن حقل ثقافي يحكم وجوده ويؤطر توجهاته وأفعاله' لأن الأنا صارت مستهلك ثقافي وليس مجرد زبون لا يعرفه وجهته'مثال ذلك عندما اختفت المانيفاكتوري اختفت معها أشكال تنظيميةلاقتناء المنتجات واختفى معها فرد تلك الحقبة .

غير أن هذا التغلغلالإعلامي وصل حتى إلى أصغر حجرة في بيوتنا أو هواتف اللمس في جيوبنا إذ كان له ما يبرره في السابق والحاضر'فالمجتمع باعتباره تآلف معقد يجمع بين جنباته المقومات الأساسية لمختلف الفاعلين إضافة إلى البيئة' التنظيم' المؤسسات الاقتصادية ' الثقافية' الاجتماعية' فإن في هذا السياق لا نرى أي عائق للتحدث عن مجتمعنا العربي خاصة وأنه المجتمع رقم واحد للاستهلاك العالمي بشقيه المادي والرمزي' فهو مجتمع شديد التنوع في بنيته الاجتماعية وثقافته بمختلف تفرعاتها: ديني سلفي' قبلي' طائفي' شخصاني. الخ ' بالرغم من هذا التنوع إلا أن الإنسان العربي مازال يبحث عن ذاته المشتتة بين تضليل إعلامي وضعف وخواء في بنائه الاجتماعي' كرسته شخصيته التي تعيش مرحلة أشبه ما تكونبصورة إنسان العصور الوسطى في أوروبا الذي هيمنت عليه العقيدة اللاهوتية المسيحية وتحول إلى إنسان متشائم خائف من ارتكاب الخطأ والذنوب في كل لحظة (غياب العقلانية)من جهة'وسيطرة سلطة نبلاء السيف من جهة ثانية' فالتربية الأسرية والمنظومة التربوية تعتبر عاملان ساعدا على تشكل شخصية هذا الرجل' شخصية اقطاعية يسيطر عليها

الخضوع والتهرب والاتكالية' نتيجة انفصال هويته الفردية عن هويته الجماعية ' كما يعبر إميل دوركايم – دوركايم – يوجد فيكلمناكائنان: كائنفرديويتكونمنالمشاعروالأحاسيسالتيتتصلبالحياة الخاصةمنناحية،وكائناجت ماعييتكونمنمنظومةالأفكاروالمشاعروالعادات التيتعبرفيناعنالمجموعةمنناحيةأخرى. وإنتلاحمهذينالوجهينهوالذي يكونالكائنالاجتماعي' غير أن هذا الضعف في التماهي الاجتماعي خلق اضطرابات خاصة لدى فئة الشباب التي تشكل الشريحة الكبرى في العالم العربي إلا أنهم يعيشون أزمة هوية معيارية لأنهم متقلبون داخليا من خلال الدوافع الجنسية والعدوانية وخارجيا نتيجة ضغوط الحياة اليومية أين يكرس النسق خاصة السياسي سيطرته على الفاعلين ' هذه الحالة دفعت بالكثير منهم إلى نقد النظم الاجتماعية ومختلف الأشكال الاجتماعية لها' فصاروا ينجذبون نحو حياة وفضاءات جديدة تمنحهم هوية خاصة' تعبر عن الذات بصفتها فاعل اجتماعي ومن خلال المواجهة مع النسق تشكلت لدينا الحركات الاجتماعية في الوطن العربي أو ما يسميه البعض الربيع العربي' غير أنه تشكل ناتج عن صراع بين الذات الفاعلة والنسق –السلطة الحاكمة في البلاد العربية– معبر عنها في مناحي شتى وبوسائل مختلفة كشبكات التواصل الاجتماعي والهواتف والتلفاز ووسائل الإعلام بكل أنواعها فيا ترى هل تضليل شاشات الإعلام هي السبب الرئيس في تشكل الحركات الاجتماعية أم أن سيطرة النظام عن الفاعلين وغلقه لمختلف الفضاء التي تعبر فيه الفاعلين ذواتهم هي من خلق هذه الحركة ؟ وهل تشكل هذه الحركات يرجع إلى ملامح ضعف البناء الاجتماعي العربي وخوائه ؟ من خلال هذا سنحاول أن نقدم تحليلا لهذا الظاهرة الاجتماعي وأن نوضح بعض جوانب التأثير فيها .

01/الإعلام وآليات تضليل العقول:

إن المرحلة الجديدة التي ألت إليها الرأسمالية العالمية في صيغتها النيوليبرالية كما يراهابييربورديو والتي تعرف باسم العولمة– تبنينا الكثير من مفاهيم واصطلاحات بورديو في هذه المقالة–' خلقت أشكال ونظم فكرية وثقافية وسياسية ناجمة عن التزاوج بين التوحش الإعلامي والمالي والتكنولوجيا الجديدة' فلم تعد الأشكال القديمة للنضال السياسي والاجتماعي قادرة على مجابهتها ' خاصة في عالمنا العربي' مازالت الحركات السياسية والاجتماعية غير قادرة على تجاوز تراثها الفكري والتنظيمي لتجاربها السابقة هذا من جهة' واللاحسم والتردد في خلق الأشكال والأدوات الفكرية والتنظيمية الجديدة التي تتلاءم والتغييرات التي تعرفها المنطقة من جهة ثانية' خاصة ماحدث من ثورات أو مايسمى بالربيع العربي في كل (تونس ' ليبيا ' مصر ' اليمن ' البحرين ' سوريا ' العراق..) حيث لجأت الحركات الاجتماعية إلى الأعمال الرمزية ذات الكفاءة التي تعتمد على الالتزامالشخصي والمادي للمشاركين فيها'كما تجاوزت ذلك إلى بعض الأعمال التي تحتمل الخطورة مثل الاعتصامات– جُمع الاعتصامات في مصر مثلا– ومنها ما تعداه إلىالإطار المسلح مثل سوريا وليبيا' هذه الثورات منها ما خفي ومنها ماهو غير ذلك'السبب في جلائه أو ضموره هو وسائل الإعلام الجديدة أو بالأحرى الميديا الجديدة من تلفاز على رأسها وكذا ضجة مواقع التواصل الاجتماعي' ودور هذه الأخيرة في التلاعب بعقول مختلف الشرائح الاجتماعية من علماء دين ورجال سياسة ..الخ' فالدور الذي تلعبه وسائل الإعلام العالمية والعربية على وجه الخصوص' هو أنهالم تعد مجرد قنوات تقدم برامج تسلية أو تثقيف بل أصبحت أدوات للهيمنة ومنتجة للعنف :الرمزي ' المادي ناهيك عن الاباحية الجامحة التي غزة بيوتنا ' انتقلنا بسببها من مستوى المشاهدة إلى مستوى الفعل'الذي صار يشكل جزء من رأسمالنا الثقافي والرمزي' إن هذه الممارسات التي تطبع الفضاءات الاجتماعية بتفاعل بين قوى مسيطرة وأخرى مسيطر عليها – مهيمنون وخاضعون – هدفهم هو السيطرة والتحكم في المجال إما بالمحافظة عليه أو تغيره ' فالآليات التي يعمل بها أولئك القائمون على تلك القنوات فهم يعملون على وضع أسس لتداول الصور والمعلومات ويسهرون على تنقيحها وإحكام السيطرة عليها' هذه الأخيرة تحدد في كثير من الأوقات معتقداتنا ومواقفنا بل وتحدد سلوكنا '

فعندما يعمل مسؤول وسائل الإعلام أو المشرفون على المواقع التي تهتم بالتواصل الاجتماعي إلى طرح أفكار لا تتفق مع حقائق الوجود الاجتماعي فإنهم يتحولون إلى ممتحني عقول' ذلك أن الأفكار التي تنحو إلى إعطاء معنى زائف وإلى إنتاج وعي لا يقدر على استيعاب الشروط الفعلية للحياة أوأن يرفضها' سواء على المستوى الاجتماعي أو الفردي' فإننا ساعتها يجب أن نعرف أنه تم التلاعب بعقولناكما يرى باولو فريرهي أداة للقهر' إذ تعمل النخبة بتطويع الجماهير لمصالحها الخاصة' فباستخدام الدعاية والإشهار سواء على مستوى التلفاز أو النت بغية تبرير الشروط السائدة للوجود' بذلك يضمنون تأييد شعبي لنظام اجتماعي لا يخدم في المدى البعيد مصالح الأغلبية'وعندما يتم التلاعب بعقول أفراد المجتمع فإن التضليل الإعلامي للجماهير يكون قد أدى دوره بنجاح' ولكي نصل على أبعد من ذلك كما قال عالم الاجتماع الفذ بيير بورديو: حتى نصل إلى ما هو أبعد من مجرد وصف ما يحدث على مسرح التلفزيون ' مهما كان هذا الوصف بالغ الدقة ومن أجل محاولة الإمساك بالآليات التي تفسر سلوكيات وتصرفات الصحفيين والمجال الذي هم فيه ... فلكي نفهم الذي يحدث في القناة التلفزيونية – أعطى مثال على قناة TF1– علينا أن نأخذ في الحسبان كل ماهو مطلوب من هذه القناة أن تفعله ' لأنها موجودة داخل عالم يتميز بشبكة من العلاقات الموضوعية بين القنوات التلفزيونية المتنافسة والمختلفة ' لكن هذا التنافس يتحدد في شكله ' بطريقة غير مرئية بعلاقات قوى خفية ' يمكن أن حددها بمؤشرات كنسبة حصة هذه القناة من السوق ' عدد المشاهدين ' وزنها تجاه المعلنين ' ورأسمال الجماعي للصحفيينالمشهورين ذوي النفوذ.[1]

يتوزع الإعلام في عصرنا على مجموعة متنوعة من الاختصاصات ' كما تشهد تقنياته تطور سريعا خلق قدرات جديدة تؤثر في أذهان أولئك الفاعلين الاجتماعين باعتبارهم مستهلكين ' حتى صار» العالم بداخل أصغر حجرة في بيوتنا على حد تعبير رئيس الوزراء البريطاني توني بلير» [2].

في البداية يجب أن نوضح الغموض الموجود بين مفهومي الإعلاموالاتصال إذ أن الكثير من الباحثين لا يتفقون على مضمون محدد ' ولكشف الالتباس بينهما ' أن الاتصال هو نقل معلومة من طرف لآخر بغض النظر عما يثيره ذلك الفعل من استجابة أو عدمها ' أما الإعلامفهو الجوهر الذي يحويه الاتصال' الذي يستخلصه المتلقي بعد أن تمكن المرسل من تبليغه إليه « [3]وبالرغم مما يحاول الإعلام تبليغه فإن ذلك يرجع لفهم الأخر لأنه هناك عوامل سيكولوجية وأخرى سوسيولوجيةخاصة الاختلاف الثقافي وعدم تقبل الأخر على حد تعبير الفيلسوف جون بول سارترL›autre c›est l›enfer أي الأخر هو الجحيم ' لأن العلاقة في بيئة اجتماعية ما لا يمكن أن تمر دون فك رموز التفاعل الاجتماعي التي يتم تداولها بين الأفراد والجماعات '» فالوضع الراهن يعتمد على تقبل الأخر لأنه يظل موجود حتى في حالة عدم وجود الذات التي تدركه ' أي أننا لا نعتبره كذات منفصلة عن وعينا ' بل يجب انتظار التغذية العكسية ((back –Feed. منه .»[4]

فالتحول الذي طرأ في السنوات الأخير وحتى الآن على المسرح العالمي' من مواجهات ايديولوجية روج لها مثقفون ووسائل إعلام من ذلك نظرية صموئيل هانتكتون المعروفة بصراع الحضارات أو نهاية التاريخ كما يبين ذلك فوكو ياما ' ما هي في الأخيرإلا تعبير صريحعن نزعات عنصرية تبرر تفوق الغرب على الأخر'لأن هذا

1– بيير بورديو ' التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول . تر : درويش الحلوجي ' ط 1 ' دار كنعان ' دمشق ' 2004 ' ص 83 .

2– بلقاسم سلاطنية و آخرون ' علم الاجتماع الاتصال . ط1 ' دار الفجر ' القاهرة '2012' ص 46 .

3– نفس المرجع' ص 47 .

4– نفس المرجع ' ص 49 .

التغيير الجديد هو انفراد ما يسميه الباحثين بالأيديولوجية الناعمة المتمثلة في وسائل الإعلام والتي تتمثل في الجرعات التي تبثها بين الفينة والأخرى' هذه الأخيرة تتغلغل إلى عقول السواد الأعظم من المستهلكين لهذه الجرعات بهدوء وانسياب ' على النقيض مما كان في السابق .فأشكال السيطرة القديمة بين السيد والقن التي عرفتها مراحل التطور الإنساني بين أولئك الذين يملكون ويسيطرون على وسائل الانتاج' وأولئك الذين هم خاضعون لتلك الممارسات ويبذلون جهدا للتحرر منها' مازال إلى يومنا هذا'بالرغم من اختلاف أشكال الصراع إلا أن آلياته باقية بصرف النظر عن المجتمع الذي يدور فيه' الظاهرة نفسها يمكن أن نلاحظها اليوم فظلت المواجهة السياسية والاجتماعية من حيث جوهر الصراع نفسها ' كما أن هذا الأمر لم يختلف من حيث المحتوى في معظم بلدان العالم العربي التي اتبعت طرق تنمية وهنا أقصد المجتمعات التي اتبعت النموذج الاشتراكي ' ففي هذه المجتمعات ظلت نظرة من يملك يحكم ويسيطرعلى الرغم من انتقال ملكية وسائل الانتاج إلى الدولة' التي كان يسيرها نخب بيروقراطية كرست أشكال متنوعة من الهيمنة حلت محل العلاقة القديمة السيد والعبد ' وبالتالي إذا كان من يملك يحكم ويسيطر ويفرض وجهة نظره على الأخرين ' فكما يرى ألان توران أن قائد التنمية في هذه البلدان « أعقد لأن البرجوازية التي تعمل تكون أجنبية وهو ما يعزى للبرجوازية الوطنية دور تابع يعطي للدولة مجالاً كبيراً للحركة ولكن هذه الدولة ليست كلية القدرة لأنها لا تنفصل عن السلطة الاقتصادية للمراكز الرأسمالية.»[5]

فإن توجهات علم الاجتماع المعاصر عرفت اهتماما بالغا بما يسمى مجتمع المعلومات أو كما يسميه عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران المجتمع الرقمي'غير أن هذه السيطرة تكمن في ملكية وانتاج المعلومة بوصفها بنية ومادة الإعلام ' فالنظرية النيوليبرالية كما يحللها بورديو ..»نظرية مفرغة من البعد الاجتماعي والبعد التاريخي ' فالخطاب السائد فيها يشبه ذلك الخطاب السائد في مصحات الأمراض العقلية ' {إنه خطاب قوي}وهو ليس قويا غير أنه يهيمن على كل القوى في عالم تحكمه علاقات قوى تفرض عليه أن يكون بالشكل الذي هو عليه .»[6]أي أن هذه النظرية تعمل على التفكيك المنهجي لكل ما هو جماعي لأن برنامجها الاجتماعي يستمد قوته من السلطة السياسية والاقتصادية لأولئك الذين يعبرعن مصالحهم من رجال الأعمال وأصحاب البورصات ورجال الصناعة والسياسة من الاشتراكيين الديموقراطيين...الخ الذين عمدوا إلى تبني مبدأ آدم سميث دعه يعمل دعه يمر بيدأن الفارق أنهم يتشدقون بشعارات سياسية واقتصادية واجتماعية خالية من أي محتوى غير أن الفارق هم النخبة الحاكمة أو بعبارة أخرى هم إطارات كبار وسامين في الجهاز الحاكم .

2/الشاشات وسيلة ترفيه و تسلية تعمل على تعزيز الوضع الراهن :

في عالم ما بعد الحداثة تضاعف عدد الشاشات في كل مكان بدءا بشاشاتالسينما ثم التلفاز والحاسوب الشخصي والمحمول وانتهاء بالإنترنت والهواتف الذكية' في خلال قرن واحدنحن البشر غيرنا العالم بشكل جذري أكثر مما سبق' تكنولوجية وراثية ' مدن عملاقة ' تدفقات مالية ' إباحية ' سلوكنا و أفعالنا نظام حياتنا ومعيشتنا....الخ ' حقا كل شيء يتغير حجمه ' فانتقلنا من الشاشة الأحادية إلى الشاشات المتعددة الأبعاد 'نعم إنه عصر الزخم الرقمي والسيطرة على مواقع الميديا وتوجيه العقول بهدف تعزيز الوضع الراهن ' لا شك في ذلك إنه الاقطاع الجديد أو رق العقول ففي كتاب لـ : «جيل ليبوفيتسكي وجون سير والمعنون»[7] بـشاشة العالم : ثقافة – وسائل

5ألان توران' نقد الحداثة .تر: أنو مغيث'ط1 ' المجلس الأعلى للثقافة' مصر ' 1997' ص 10.

6مداخلة لبيير بورديو باليونان مع نقابيين وباحثين في ماي 2001 ونشرت في الكتاب أدناه لمزيد من الاطلاع :

Bourdieu' Interventions'1961–2001.sience sociale et action Pierre – .politique'EditionAgone' France

7– ليبوفيتسكيفيلسوف وعالم اجتماع له مؤلفات حول تحول العالم المعاصر ولا سيما مجال الفردانية ' الموضة ' الرفاهية من

إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة» يستهله بقوله عنف الألترا ..ففي فيلم بيني للمخرج مايكل هانيكهينتقل مراهق – محاط بالشاشات ومتخم بالصور– من عالم الافتراضي إلى حقيقة الفعل بقتل فتاة من سنه»[8]لم يعد الافتراضي آلة حرب وحسب ضد الرابط الاجتماعي بل ضد التجربة المحسوسة أيضا ' لم يعد موضوع العنف في شاشات عالم اليوم بل أسلوب وجمالية مضافة ' مرئيا بشكل فني يثير الاندهاش والتقليد خاصة لأولئك المهوسين سواء كانوا مراهقين أو من يعانون مراهقة متأخرة –نموذج الرجل المراهق–فالمخاطر التي قد يسببها العنف» ترجع لأولئك الممثلين الذين يخلطون بين الموضوع وتمثيله ' فيعتبرون أنفسهم قتلة بالفطرة مثل الذين صورهم أوليفر ستون ' وهو موضوع المناظرات التلفزيونية المفضل : تأثير عنف الأفلام على سلوك الشباب «[9].فالعنف صار اليوم كمتنفس علاجي أكثر من كونه نموذج ينبغي اتباعه و بالمقابل يؤثر في علاقة المشاهد ما يوضح له من صور ' فالتقنيات الحديثة ساهمت بشكل كبير في إضفاء المزيد من السرعة والحركة والإثارة ' فالشاشات اليوم أصبحت مصانع لصناعة مجرمين من نوع أخر يجعل من المزايدة قانونا كأفلام القاتل المتسلسل ' إضافة لتنوع طرق القتل كفيلم الخطايا السبع ' وآكلي لحوم البشر ' وأموات أحياء ....مُطلقين العناء للعنف في شتى الاتجاهات إلى ما لانهاية ودون حد ' صلب تمزيق الأجساد وتحطيم العظام ' الافتراس مثال ذلك فيلم لميلجيبسون حول السيد المسيح الذي لاقى معارضة واسعة خاصة في الوسط الاسرائيلي' الذي أظهر طرق دموية في صلبه تفوق الطرق البربرية' وكذا فيلم ساو القاتل السادي والذي أخذ عدة أجزاء وتم عرضه على قنوات عربية معروفة' إذا كنا نعتبر المجتمع اليوم هو المسؤول عن الأفعال اللامعيارية لبعض أفراده–يعيشون حالة من الأنوميا – فإن السينما تعتبر الأداة الأكثر عنفا ' لأنها تساهم في تشكل وعي الفاعل الاجتماعي– المشاهد – خاصة بعد تعلم هذا الأخير من مشهد العنف ' « من خلال الصورة كعنصر رائع يؤثر فيه بقوة لأنه استثنائي ....فتكرار مشاهد العنف الذي وصل إلى حد الاشباع أصبح اعتياديا ' فهو يبحث عن أصالة المشهد فالعنف ليس هو من يميز السينما فائقة الحداثة بل نموه السرطاني المغرق في المبالغة .»[10]فنحن ننتظر ما يفرزه إعلام اليوم أو بالأحرى الشاشات وما يمكن أن تسببه من أزمات على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي تشكل في مجملها معطيات من شأنها التأثير على حركة المجتمع المادية والروحية ونظم المعايير والقيم 'فهذه الأخير ستؤثر على تشكل الاتجاهات والآراء و السلوكيات و الأفعال ويرجع هذا التأثر لأسباب موضوعية تعود للواقع السياسي والاجتماعي والتخلف البنيوي لمجتمعاتنا الاسلامية' والراجع لنمطية وسائل الإعلام وثقافة الثرثرة التي تروج لها خاصة في شاشات العالم العربي ' فالشاشات أو التلفاز على وجه الخصوص صار متغير مهم في عملية التنشئة والتعلم حيث تعرف التنشئة على أنها « عملية تعلم ليكون الفرد عضوا في المجتمع ' ويصيح من خلالها كائنا اجتماعيا ' وهي تجربة دائمة ' تكتمل من خلال التفاعل مع الآخرين والمشاركة في الروتين اليومي للحياة الثقافية ' التنشئة الاجتماعية هي مفهوم يقر بأن الهويات الاجتماعية ' الأدوار ' السيرة الذاتية ' تتشكل بواسطة عملية مستمرة من الانتقال الثقافي .»[11]وهذا ما تفعله وسائل الإعلام

مؤلفاته السعادة المفارقة ودراسة بعنوان مجتمع الاستهلاك الفائف الصادرة عن دار جاليمار 2006.أماجون سيرو أستاذ جامعي له مؤلفات عديدة في الأدب و المسرح من أشهرها بين قرنين ' وكتاب عشرون عاما من السينما المعاصرة عام 2006 عن دار نشر لامارتينيير' وقد اعتمدنا على مقاربته في تحليلنا وتفسير هذه الظاهرة.

8 – جونليبوفيتسكي ' جون سيرو' شاشة العالم : ثقافة – وسائل إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة. تر :راوية صادق ' ط1 ' المركز القومي للترجمة ' القاهرة ' 2012 ' ص 09.

9– نفس المرجع ' ص 92 .

10– المرجع السابق ' ص 94 .

11– Scott (J.)' Sociology the key concepts. 1st published ' Routledge ' New York '2006' p 164.

بشتى أشكالها بشتى أشكالها بالتأثير على التنشئة الاجتماعية لفئام من الناس وتلازمها لحياتهم حتى نهاية العمر' على الرغم من أن هذه الوسائل – الشاشات وكل أدوات الإعلام لها وظائف أساسية كما حددها هارولد لاسول بثلاث وظائف أساسية :

- جمع ونشر المعلومات داخليا وخارجيا وتزويدها الجماهير لتأخذ صفة الوظيفة الإعلامية .
- تفسير المعلومات وتحليلها واتخاذ موقف محدد ليتبناها المتلقي بحيث تصبح وظيفة دعائية .
- نقل المعارف والقيم والمعايير والتقاليد من جيل إلى آخر لتصبح وظيفة تعليمية أو ثقافية[12]'

فالوظيفة الثالثة لها التأثير البالغ على تمثلات مختلف الفئات الاجتماعية وتنشئتهم ' وطبيعيا أن يتأثر المشاهد والمتابع لمختلف – أدوات التلاعب بالعقول – الشاشات –ويتعرض لضغوط قد تصل إلى حالة الاحتراق النفسي لديه نتيجة التصادم بين الثقافة القديمة والثقافة الوافدة' فضلا عن ارتفاع مستويات الطموح الاستهلاكي'التي أفرزها التغيير المحاكي مما يخلق هوة بين الجديد والقديم ينجم عنها حالة اغتراب أو انسحاب بسبب عدم استيعاب الجديد 'فعدم التكيف والتوافق أنتجتناقضات في البناء الاجتماعي نتيجة غرس الأفكار التي ترتبط بشكل واضح بمتابعة مختلف وسائل الميديا اليوم يرى جورج جيربنز»أن قدرة التلفاز على خلق واقع معين لمشاهديه خصوصا أولئك الذين يقضون أربع ساعات في اليوم أمامه ' فإنه يشكل لهم المصدر الرئيسي إن لم يكن الوحيد للحصول على المعلومات والأفكار عما يدور حولهم؛ وهذا يؤدي إلى غرس الأفكار التي تبثها شاشات اليوم في وعي المشاهدين ومنه تكون بديلا عن حياتهم الطبيعية»[13] ' لأن التكرار لمشاهد الجنس والعنف وكذا الأثار المترتبة عنها كونت السلوك المنحرف خاصة مشاهد الجنس التي أثر على المراهقين خاصة منهم حيث يرى «جورج هويبرأن عرض بعض الأفلام يصاحبه تكيفات على نسق دائري إلى جانب انفعالات نفسية أخرى مثل تنوع النشاط البيولوجي للعقل ' توتر الجهد العضلي ' وهذا التكيف حسب رأيه يختلف من شخص لأخر « [14]؛أي أن عرض هذه المشاهد سواء عن طريق الأفلام بواسطة التلفاز أو شبكة الانترنت التي سهلت الحصول عليها ' إذ تعرضها في أقبح صورها للإمتاع الحسي' شجعت مشاهديها على التحرر من القيم الخلقية للمجتمع .

ففي السينما يطبع العنف والممارسات الجنسية نفس الحد الأقصى ' فالتحرر الجنسي لما بعد 1968 بعيدة الآن'لأن زمن الديمقراطية وشرعية تكاثر الخام أتاح ليس فقط للفيلم البذيء بالأسلوب القديم والمتاح لعدد قليل من الأفراد بل أصبح بشكل أخر بممثلين معروفين ومحترفين (ممثلين إباحيين) مستهدفين الجمهور بكل فئاته الاجتماعية فصناعة الأفلام الاباحية الأمريكية تنتج قرابة 10000 فيلم سنويا' في هذا الصدد تبدو الأفلام الإباحية كتصوير رمزي على نحو خاص لزمن السينما الفائقة التي أطلقت العنان للعاطفة المتطرفة على رؤية كل شيء وعرض كل شيء وفقا للتصعيد ما بعد الأخلاقي لما هو أدائي وللإفراط في ممارسة الجنس .[15]بالرغم من نزوع الغالبية الساحقة من البشر نحو الجنس الأخر مع الإقرار بوجود هذا الأساس البيولوجي للحياة الجنسية البشرية ' فإن هذا الجانب كما يفسره عالم الاجتماع أنتوني جيدنز» أن السلوك الجنسي يعود على التعلم في وقتنا الراهن لا إلى الفطرة وتتفاوت هذه الممارسة الجنسية وتتنوع بين الثقافات عموما وفي الثقافة الواحدة'

12–ياس خضير البياتي' المجتمع الخليجي و إشكاليات تأثير الصورة المتلفزة.مجلة الباحث الإعلامي' العدد الثامن' جامعة بغداد ' العراق'2010' ص63.

13– نفس المرجع '65–60.

14 – نفس المرجع ' ص 70–65.

15– جونليبوفيتسكي ' جون سيرو ' مرجع سابق ' ص95 .

وقد لعبت الديانة المسيحية دورا كبيرا في التوجهات الجنسية في الغرب أم المجتمعات التي تعيش في ظل قوانين ومعايير متزمتة للحياة الجنسية تشيع مقاييس المزدوجة وينتشر النفاق .»[16] بالنسبة لمجتمعاتنا والتي تتميز بمعايير جنسية يغلب عليها صفة الثواب في الاتجاه الطبيعي المتمثل في الزواج والعقاب في الاتجاه الآخر الممثل في البغاء؛ فإن هذا الأخير أخذ أشكال مختلفة نتيجة الظروف التي يعيشوه الأفراد؛ خاصة الهجرة الغير منتظمة من الريف إلى الحضر وتغير أنماط الاستهلاك وتغير المعيار الأخلاقي أي اختلال في الرأسمال الرمزي المتمثل في العفة والشرف والحياء.... الخ ' وعلى هذا الأساس نجد من يمارس البغاء كالتزام مهني بغية تعزيز دخلهن اليومي و يمارس سواء بصفة منتظمة أو غير منتظمة'بينما هناك من تمارسنه حسب نسق المهنة أو بيئة العمل الموجودة فيه وكذا التفاعل الناتج عن الاتصال ' فهناك من البغايا من تلجأ إلى التقاط زبائنها بواسطة الهاتف عبر تبادل الأرقام أو استعمال وسائل الميديا الحديثة كمواقع التواصل الاجتماعي ' ويلجأ كثير من هذا النوع لتقديم الخدمة الجنسية مقابل الحصول على سلع معينة حسب الزبون الذي تمت معه العلاقة فإما أن تكون أجهزة كهرو منزلية' تلفاز ' هاتف ذكي ' ملابس ' خدمة قانونية أو إدارية ' خدمة طبية ' علامة امتحان ' توظيف' قضاء ديون ...الخ' وهذا بدوره أفرز لنا ما يسمى بالأمهات العازبات والسياحة الجنسية ' إن الذي صاغنا لتحليل هذا الموضوع هو أن وسائل الإعلام الجديدة وبتعبير أخر شاشات العالم اليوم هي السبب الجوهري وراء هذا النمط من المعيشة الضنكة ' فتمتد هذه الموجة من الغلو الجنسي الذي تكرسه شاشات عالمنا إلى الثورة الثقافية في ستينات القرن الماضي بإلغاء المحرمات وتشجيع الإباحية 'فتبع تحرير الجسد تحرير الصورة المشاهدة وحذف كلمة «لا» الناهية من معجم الأخلاق فتح الباب على مصرعيه أمام تشتيت العقول في حقول أشبه ما تكون بالثقوب السوداء نتيجة سوء استخدام هذه الشاشات على تنوع أشكالها لممارسات العنف والجنس بوصفه علامة لصيقة بشاشات العالم' فأصبح وعينا مزيف يتم تغييره من طرف مسؤولي الشاشات حسب رغباتهم' وأضحى كل فاعل يعيش في واقع استبدله بما يشاهده على مختلف وسائل التقنية الحديثة يرى المفكر الفرنسي ما بعد الحداثيجان بودريارأن وسائل الحديثة تختلف اختلافا بيّنا في آثارها وعمق مفعولها ' فقد أدت وسائل الإعلام الحديثة خاصة الإلكترونية منها لم تعد تعرض لنا العالم أو تعكسه أو تمثله بل تعيد تعريف العالم الذي نعيش فيه' فالوقائع التي تنقلها مختلف شاشات العالم مثل الحروب المجاعات المحاكمات تنقل لنا ما يسمى (عالم الواقع المفرط) فالواقع الحقيقي لم يعد موجودا بل استعيض عنه بما نشاهده .[17] ويخلص في نظريته إلى أن تغلغل وسائل الإعلام – نقصد بهادائما كل ما بإمكانه نقل المعلومات بين مختلف الفاعلين الاجتماعين –في حياتنا إنما يخلق كما أشارنا سابقا عالم الواقع المفرط الذي يتألف من اختلاط أنماط السلوك البشري من جهة والصورة الإعلامية من جهة ثانية هذه الأخيرة تكتسب معانيها ودلالاتها من صور ومشاهد لها مرجعية واقع خارجي. ومثال ذلك الإشهار بمختلف أنماطها والدعاية التجارية' إضافة إلى الحاملات الانتخابية ' الدعاية زمن الحرب ....الخ.فوسائل الإعلام اليوم شكلت حكوماتأو بالأحرى دول وكذا اقتصاديات افتراضية بمرجعيات تكون سرية أو معلنة خاصة تلك الموجود على مواقع الاتصال الاجتماعي تعمل على توجيه مختلف الفئات الاجتماعية وقيادة الحراك الاجتماعي ' خاصة في ظل الرقابة على وسائل الميديا في العالم العربي ' وجدت هذه الفضاءات لتعبير عن أراءها خاصة تلك التي لجأتإلى الأعمال ذات الكفاءة الرمزية نهيك عن العسكرية منها كليبيا وسوريا .

3/ سوسيولوجيةالحركات الاجتماعية وأزمة خواء البناء الاجتماعي العربي :

16– أنتوني جيدنز ' علم الاجتماع . تر: فايز الصياغ ' ط 4 ' المنظمة العربية للترجمة ' لبنان ' 2001 ' ص 222 .
17– المرجع سابق ' ص 513–512 .

قدمت المقاربات والدراسات الإعلامية كثيراً من الاجتهادات حول مفهوم الإعلام الاجتماعي ودائرة التأثير، ومنها نظرية التسويق الاجتماعي التي تتناول كيفية ترويج الأفكار التي تعتنقها النخبة في المجتمع، لتصبح ذات قيمة اجتماعية معترَف بها.

ووفّر ظهور شبكات التواصل الاجتماعي فتحاً ثورياً، ،أعطى مستخدميها فرصاً للتأثير والانتقال عبر الحدود بلا قيود ولا رقابة إلا بشكل نسبي محدود. إذ أوجد ظهور وسائل التواصل الاجتماعي قنوات للبث المباشر من جمهورها في تطور يغير من جوهر النظريات الاتصالية المعروفة، ويوقف احتكار صناعة الرسالة الإعلامية لينقلها إلى مدى أوسع وأكثر شمولية، وبقدرة تأثيرية وتفاعلية لم يتصوّرها خبراء الاتصال.

وإنالخبرةوالتسهيلاتالجديدةالتيوفرتهاالإنترنتفيمجالالتنظيموالاتصالوالإعلامغيرتالمعادلةالقديمةالتيكانتتضطرقوى التغييرإلىالاعتمادعلىدعمولأخرفينضالهاالسياسي،كماكانالحال فيالستينياتوالسبعينياتمنالقرنالعشرين.

لذافإنالحركاتالاجتماعية فيعالمناالعربيوالإسلاميسعتللاستفادةمنثورةالإنترنتإلىأقصىالحدود،فيمجالاتالتنظيم والإدارةوالاتصالوالإعلاموالنضالالسياسيوغيرذلكمنجوانبمعتركالحياةوإسقاطاً على التجارب العالمية في الحالتين «التونسية والمصرية والسورية تقوم وسائل الإعلاموفق نظرية التسويق الاجتماعي بإثارة وعي الجمهور عن طريق الحملات الإعلامية التي تستهدف تكثيف المعرفة لتعديل السلوك بزيادة المعلومات المرسلة، للتأثير على القطاعات المستهدَفة من الجمهور، وتدعم الرسائلَ الإعلامية بالاتصالات الشخصية، كذلك الاستمرار في عرض الرسائل في وسائل الاتصال، عندما يصبح الجمهور مهتماً بتكوين صورة ذهنية عن طريق المعلومات والأفكار، وهنا تسعى الجهة القائمة بالاتصال إلى تكوين صورة ذهنية لربط الموضوع بمصالح الجمهور وتطلعاته' بيد أن هذا الحراك الاجتماعي لم يجلب غير الدمار لكثير من البلدان ولم نشهد انتقال سلمي للسلطة ' ولا تغير الحياة الاجتماعية التي عرفت تفسخ اجتماعي حقيقي ' أرجعنا إلى أوربا القرون الوسطى ' لأن بنية العقل العربي لازالت تعيش بين أمرين كما قال مالك بن نبي ذهاب السهولة والاستحالة ' وهذه الثورات فتحت المجال واسعا أمام التدخل الأجنبي.

فثورة القرن الواحد والعشرين ليست ثورة الإعلام وحسب ' بل هي ثورة التواصل والاتصال ' ليست ثورة الرسالة إنما ثورة العلاقة ' ليست ثورة انتاج إعلام وتوزيعه بواسطة تقنيات راقية إنما ثورة في شروط القبول أو الرفض من قبل ملايين من المتلقين المتباينين والسبب في ذلك لا يعود إلى اللغات وحسب وإنما إلى تصادم التصورات والثقافات والرؤى في العالم ' في مثل هذه الحالة لم يعد كافيا أن نسرع من وتيرة انتاج وتوزيع المعلومات من أجل تحقيق تواصل أكبر ' لا بل من شأن ذلك تضخيم النزاعات ' ولأول مرة في التاريخ يحد هذا التفكك ' ومن هنا فالإعلام في القرن الواحدوالعشرين أصبحعاملا مهما في السلم والحرب .[18]فالإعلام الجديد – مع الأخذ في الاعتبار الإعلامالمتلفزوالردايو– المتمثل خاصة في مواقع التواصل الاجتماعي (تويتر' يوتوب ' فيس بوك ' فليكر ' ماي سبيس ' بيبو ' جومو ' لينجدين ...الخ) ذات تأثير وفعالية عالية فاقة الفضائيات ' نظرا لنقلها المباشر للأحداث ' مثل الأزمة السورية أو التطهير العرقي للمسلمين في بورما وأفريقيا الوسطى 'والحركات الاجتماعية في تونس و مصر ' فهذه العوالم الافتراضية باتت وسائل اتصال رئيسة فأطرت تلك شبكات العلاقات الاجتماعية لمختلف الفاعلين سواء في الحقل السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي ' لمزيد من حرية الرأي والتعبير لتصنع بذلك حراكا اجتماعيا ' وتركيبة متجانسة وغير متجانسة من أفراد المجتمع المتقاطعة المصالحة والمرامي ' فإنها أسهمت في

18– Dominique (w.)' Informer n'est pas communiquer. CNRS Édition' Paris ' 2012' p 19–21.

تفعيل المشاركة والتفاعل من خلال تحويل الأفكار و الأقوال إلى عمل تنفيذ مؤطر بقيادات ورموز و هتافات .

ومنه يعرف كل من التواصل والحركات الاجتماعية على النحو الآتي فالتواصل هو « عملية نقل واستقبال للمعلومات بين طرفين أو أكثر عبر عدة قنوات مباشرة وغير مباشرة من ضمنها شبكات التواصل الاجتماعي الالكتروني ' حيث يتفاعل داخل محيطها المرسل والمستقبل في إطار رسالة معينة عبر قناة تجمع الطرفين ' فيظهر أثر التفاعل الدلالي بينهما من تبادل وتبليغ وتأثير ويظهر – أيضا – الأثر السلوكي على المتلقي إيجابا أو سلبا ' ذلك أن تلك العملية سارت وفق انفعالات وتعابير وميول شخصية أو إيديولوجية.» [19]أما مفهوم «مواقع التواصل الاجتماعي» مثير للجدل، نظرا لتداخل الآراء والاتجاهات في دراسته. عكس هذا المفهوم، التطور التقني الذي طرأ على استخدام التكنولوجيا، وأطلق على كل ما يمكن استخدامه من قبل الأفراد والجماعات على الشبكة العنكبوتية العملاقةالإعلامالاجتماعي: «وهو المحتوى الإعلامي الذي يتميز بالطابع الشخصي، والمتناقَل بين طرفين أحدهما مرسِل والآخر مستقبِل، عبر وسيلة/ شبكة اجتماعية، مع حرية[20]لرسالة للمرسِل، وحرية التجاوب معها للمستقبِلللّه.

وتشير ايضاً إلى: "الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للإفراد والمجموعات بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم إلى العالم اجمع"21(1).

ويعرف زاهر راضي مواقع التواصل الاجتماعي: «منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاءموقع خاص به، و من ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهمالاهتمامات والهوايات نفسها» [22]

« وتضع كليةشريديان التكنولوجية Sheridan تعريفاً اجرائياً للإعلام الجديد بأنه: "أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي، ويعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت' فضلا عن استخدام الكومبيوتر كآلية رئيسة له في عملية الانتاج والعرض' أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي أهم سماته»[23] أما الحركات الاجتماعية تعرف بأنها «تمثل سلوكا اجتماعيا ' ينتظم فيه الناس لتحقيق أو رفض وضع أو تغير فيه' وقد تم تعريفها على أنها مشروع جماعي لإقامة نظام حياة جديد ' كما هي الحال في الجهود الجماعية التي تهف إلى تغيير وضع اجتماعي اقتصادي عام' أو ما يخص فئة أو طبقة اجتماعية .»[24]وحسب المعجم النقدي لعلم الاجتماع فالحركات الاجتماعية عبارة تستعمل بمعان مختلفة فغالبا ما تستعمل بمعنى

19– زهير عابد ' دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعبئة الرأي العام الفلسطيني نحو التغيير الاجتماعي والسياسي دراسة وصفية تحليلية .مجلة العلوم الانسانية ' المجلد 26 (6) ' جامعة النجاح ' فلسطين ' 2012 ' ص 95–13 .

20بـ «مقص الرقيب» وهو باختصار، من يقوم بعملية حذف كل محتوى لا يخدم مصالح مالك الوسيلة الإعلامية، وهو ما يتّسم به الإعلام التقليدي.

(1)21http//:computing dictionary.the freedictionary.com/new+media

22 – زاهر راضي، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي. مجلةالتربية،عدد 15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003، ص23.

23– عباس مصطفى صادق،الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العام. البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، 2011م، ص9.

24– إبراهيم عيسى عثمان ' مقدمة في علم الاجتماع. ط2' دار الشروق ' الأردن ' 2009' ص 147.

وصفي محض وتشير إلى العمليات الأكثر تنوعا ' كالحركات النسائية المناضلة من أجل تحرير المرأة ' والمطالبين بتحريم بعض المنتجات ...الخ وفي معنى آخر أكثر تعميما تزعم أنها تصبغ جوانب الحياة الاجتماعية التي ندركها في قدرتها على التعبئة والتجديد والخلق. فتاريخ الحركات الاجتماعية يبدأ بمرحلة التعبئة أو التجميع فيأخذهاكارل دوتشعلى أنها تصف حالة اجتماعية متسمة بتزايد الحركية الجغرافية والمهنية . فضلا عن ذلك أن مجتمعا في طرق التعبئة يتسم كذلك بانتقال أسرع للأفكار' واتصالات أكثر تكرارا وعددا' حتى بين أشخاص ذات مستويات تراتبية متباعدة لم يكن لها حظ باللقاء .وهكذا فإن المجتمعات التي تكون على طريق التعبئة لها توجهات فردية متطرفة . ويضيفريمونبودون وفرنسوا بوريكوأن الشرط الذي صاغه كارل دوتش غير كاف' يقتضي كذلك تحرر الأفراد من القيود التقليدية ' وأن يطوروا قدرة تنظيمية يستطيعون بفضلها تحديد أغراض مشتركة ووضع الموارد المطلوبة للوصول إلى هذه الأغراض موضع العمل .[25] فيوضح جون سكوت ذلك أكثر في كتابه علم الاجتماع مفاهيم أساسيةبأن الحركات الاجتماعية تركز في صيغتها المبدئية على الاحتجاج السياسي ' وتدرس الصلة بين المجتمع المدني والنظام السياسي خارج أنماط المشاركة السياسية المؤسسية ' فتطورت الأعمال التي تتناول الحركات الاجتماعية بداية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية . وفي الأعمال المبكرة تم دراستها إما بمصطلحات نفسية من خلال المقاربة التي تركز على السلوك الجمعي ' أو وفقا للمقاربة البنائية الوظيفية التي تركز على دور هذه الحركات في الاستقرار الشامل للمجتمع .[26] فعلماء النفس يدرسون المجتمع الجماهيري عادة بصياغة مفهومية للحركات الاجتماعية على أنها تكيفات تفكيكية للوظيفة التي يقوم بها الأفراد لمواجهة الضغط الشخصي ' بينما ينظر الوظيفيون البنيويون للحركات الاجتماعية على أنها توترات في النسق الاجتماعي؛ فمن بين المهتمين بذلك عالم الاجتماع نيل سملسر والمنظر الجماهيري ويليام كورنهاوزر وعالم النفس الاجتماعي رالف تيرنر الذي رجح التفاعلية الرمزية . ففي سبعينات القرن الماضي ومع نمو الحركات الطلابية وانتشارها ابتكر أهمبراديغم (نموذج نظري) . فنظرية تعبئة الموارد الجديدة ترى الحركات الاجتماعية على أنها عمليات طبيعية التي يحدث التغيير السياسي والاجتماعي فيها على يد قيادة سياسية (مقاولين سياسيين) من خلال التراكم العقلاني للموارد.[27] وبذلك تطور الأبحاث التي تهتم بمجال الحركات الاجتماعية حتى في صيغتها الحالية اليوم أو ما يسمى بالحركات الاجتماعية الجديدة مثل حركة البيئة والمرأة وحقوق الانسان 'والحركات الاحتجاجية في أوربا حول النقاب والمآذن ...الخ ومن علماء الاجتماع الكبار الذي اهتموا بذلك ألان تورانو و ألبرتو ميلوشي و كلوس إدر 'فألان تورانو «يبني دفاعه عن مفهوم الحركات الاجتماعية على أساس موقفه النقدي الرافض لفكرة ما بعد الحداثة الذي أعلن انتهاءها لصالح النسبية تفضيلا عن مفهوم الجماعات المدنية المتنازعة في المجال العام التي تدير نزاعتها عبر آلية التفاوض المستمر وليس الحركات الايديولوجية الواسعة .»[28] لأن كما يرى تورانو أن هدف الحركات الاجتماعية هو تحرير الذات ' وهذا المفهوم للذات ليس كما عرضها جون لوك في فلسفته السياسية والتي تنظر للأفراد كجواهر منعزلة مثل الذرات في فيزياء نيوتن بينها علاقات جذب وطرد' وليست ممثلة في الإرادة الجماعية عند جون جاك روسو والتي تذوب فيها إرادة الفرد ' بل تتجسد الذات في بناء الفرد الفاعل لأنه من المستحيل فصل الفرد عن موقفه الاجتماعي بل ينبغي أن نواجه الفرد كمستهلك للقواعد والمؤسسات الاجتماعية

25- ريمون بودون ' فرنسوا بوريكو' المعجم النقدي لعلم الاجتماع. تر: سليم حداد ' ط1' ديوان المطبوعات الجامعية ' الجزائر ' 1986 ' ص 270-269.

26Scott (J.)' op.cit.p155. -

27- Ibid' p156.

28- تشارلز تلي ' الحركات الاجتماعية 2004-1768.تر:ربيع وهبه'ط1'المجلس الأعلى للثقافة'مصر'2005'ص 15.

بالفرد كمنتج للحياة الاجتماعية[29]' «فعندما يكون الفاعل على مستوى الفاعلية التاريخية لإنتاج توجهات كبرى معاير للحياة الاجتماعية»[30] .أي أن الذات الفاعلة هي التي تشكل عصب الحركات الاجتماعية المختلفة'وقد أنتج توران هذا التصور من خلال المزاوجة بين ماكس فيبر وكارل ماركس ويرى أن لم يعد هناك ضرورة من التعارض بين التوجهين النظريين لكلا الباحثين فماكس فيبر يرى أن الفاعل توجهه دائما قيما معينة'»ويعرف الفعل بوصفه نتاجا للمعنى الذاتي الذي يخلعه الأفراد على سلوكهم سواء كان هذا المعنى واضحا أو كامنا' ويعد الفعل اجتماعيا بالقدر الذي يضع فيه الفاعل سلوك الأخرين في حسبانه توجها وتصرفا»[31]' ويقصد فيبر من مصطلح المعنى أنه سلوك الفرد موجه في إطار وسائل و غايات يسعى الفاعل لتحقيقها. أما ماركس فجاء بفكرة أن الحياة الاجتماعية مبنية على الصراع والسيطرة فتوران يرى أن من خلال المزاوجة بينهما نحصل على ما يسمى بالحركات الاجتماعية ' «فاعلين متعارضين عبر علاقات صراع وسيطرة لديهم نفس التوجهات الثقافية والأنشطة التي تنتجها .»[32]ومنه يتسأل توران ما الذي يلعب الدور الأساسي الذي كانت تلعبه الحركات العمالية في قلب المجتمعات الصناعية خلال النصف الثاني من القرن الماضي؟ ذلك أن الصراع ' في هذه المجتمعات لم يعد ينحل إلى المقابلة بين المواطن والسلطة أو العامل ورب العمل' صحيح أن الصراع مازال مستمرا إلا أنه أصبح يجد حله عن طريق التحالف والمفاوضة أكثر مما يجده عن طريق العنف والنضال. فالصناعة الحديثة اليوم لم تعد تنتج الثروات والموارد وإنما أصبحت تنتج الأشخاص والثقافة واللغة والإعلاموالصور. هذا الصراع يحدث في ظل حقول اجتماعية مركزية تعادل فضاءات التوترات التي أطرتها الحركات العمالية في السابق[33]' وهذا ما أفرز تحول في الحقل السياسي العربي من خلال ما يسمى بالربيع العربي إذ أصبح الفعل في شقه الفردي والثقافي والجماعي يجد لنفسه مكانا أو طريق نحو السياسي ' فحركات الاحتجاج في الربيع العربي مثلا ' تمخض عنها ميلاد حركات اجتماعية جديدة لا تسير في اتجاه النسق التاريخي ولا تحقق معنى لذاتها بل غرضها يتمحور إعطاء صورة رمزية للحياة الشخصية للفرد العربي ' فمختلف الشرائح الاجتماعية المشاركة في هذا الحراك ليس غرضها انتاجي أو أنها تمثل جانب عمالي وإنما تعبر عن كونها تمثل الشق الانساني وحقه في الصحة والثقافة والكرامة .

«يرى توران أن هذه الحركات الاجتماعية الجديدة قد ينظر إليها في الظاهر على أنها أيضا حركة مأجورين يطالبون بتحسين أوضاعهم الاقتصادية ' إلا أنه يرى فيها أقوى من ذلك «.[34]

فالحركات الاجتماعية حسب تحليل ألان توران تتحدد في الخصائص التالية[35] :

مبدأ الهوية : فاعلو الصراع يعملون أو يجمعون على قيم ومواقف مشتركة' والمنتجة من قبل الفاعل للتعريف بذاته .

مبدأ المعارضة : تحديد الخصم الذي من أجله يصارع (فردي أو جماعي).

29 ألان توران' مرجع سابق' 305.

30- Touraine (A.)'Le retour de l'acteur.Faiyard'Paris'1984'p24-26.

31- عبد الباسط عبد المعطي' اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. ط1'عالم المعرفة' الكويت' 1980'ص 92.

32- Touraine (A.)'op.citp33.

33-عبد السلام بنعبد العالي ' ميتولوجيا الواقع.ط1'دار توبقال ' المغرب ' 1999' ص 28-27.

34- نفس المرجع ' ص28.

35- عبد العزيز خواجة ' أساسيات في علم الاجتماع . ط1' دار نزهة الألباب' غرداية ' 2012' ص 180.

مبدأ الشمولية: الهدف من المطالب تكون شاملا وليست جزئية مع اجتماع الكل في جدلية الصراع.

ومنه يعرف تشارلز تلي الحركات الاجتماعية على أنها»سلسلة مستدامة من التفاعلات يسن أصحاب السلطة وأشخاص يضطلعونبالتحدث نيابة عن قاعدة شعبية تفتقد إلى تمثيل رسمي' وذلك في مجرى إذاعة هؤلاء الأشخاص لمطالب واضحة لإجراء التغيير في توزيع أو ممارسة السلطة وتدعيم هذه المطالب بمظاهرات عامة من التأييد.»[36]فحسب براديغم الهوية والفعل فإن الحركات الاجتماعية تحول دون الركود الاجتماعي' وهي تقوم ضد الأشكال المؤسسية القائمة والمعايير المعرفية المرتبطة بها؛ أي أنها تقوم ضد المجموعات المهيمنة على عمليات إعادة الانتاج الاجتماعي والاقتصادي' وتشكيل المعايير الاجتماعية .

فحسب هذا البراديغم أن هناك استبدال الشكل القديم للرأسمالية الصناعية بمجتمع مرحلة ما بعد التصنيع القائمة على البرمجة – المجتمع الرقمي– والذي يتميز بأنماط مختلفة تماما من العلاقات والصراعات الطبقية. ففي المجتمع الرقمي يشكل التكنوقراط الطبقة المهيمنة بينما ينتهي دور الطبقة العاملة كمناضل أساسي ضد الأوضاع القائمة ؛ وبالتالي يرون أن الصراع الطبقي أساسي ذو طبيعة اجتماعية – ثقافية' وليس ذو طبيعة اجتماعية – اقتصادية .[37]فالحركات الاجتماعية كما يوحي هذا الطرح هي كيان اجتماعي منتج لهوية ومؤطر لفضاء اجتماعي من طرف طبقات مهمة في المجتمع كالعمال والجماعات النسائية والطلاب' وفي الفترة الحالية في بلدان الوطن العربي صار هذا الشكل من المواجهة بتعبئة الجماهير بضرورة التغيير' وكدعوة ضد السلطة القمعية 'غير أن هذه الحركات لم تكن ناتجة بالصدفة بل نتيجة لسيرورة تاريخية لحركات اجتماعية سابقة حوالي ثلاث قرون من 1768 إلى يومنا هذا'والتاريخ في هذا الصدد يساعدنا على فهم وسبب تفسير الحركات الاجتماعية– كما يقول ميلز رايت التاريخ عصب علم الاجتماع[38]– والتغييرات الدالة ' فظهرت حركات مثل «الحركة المناهضة لحكم روبرت موجابي بزمبابوي وحركة المناهضة للفصل العنصري في جنوب إفريقيا' والحركة الاحتجاجية في أوربا كالتي دعت إليها صحيفة انترناشونال فيوبوينت' لاسترجاع حقوق العمال'وفي 2004 توسع نطاق الحركات الاجتماعية ليشمل العديد من البلدان كاليابان ' كولومبيا ' السويد' الولايات المتحدة الأمريكية' هندوراس ' التوغووأخيرا في 2011 دول العالم العربي...الخ' وكانت القدرة على التعاون والتنسيق للحملات مدعوم بشكل كبير باستخدام الانترنت.»[39] فشكلت حراكا جماعيا لإملاء المطالب بالاعتماد على وسائل في مقدمتها وسائل الإعلام الحديثة كمواقع التواصل الاجتماعي وقنوات الاخبارية ' مسيرات حملات إشهارية ' ملصقات ' مطويات...الخ ' فكما يرى تشارلز تلي أن هذه الحركات الاجتماعية تتميز بصفات موحدة : الجدارة' الزخم العددي' الالتزام تجاه أنفسهم وتجاه القاعدة الشعبية' فهي تصل بين ثلاث أطراف على الأقل حسب طرحه :

مجموعة من المطالبين الناذرين أنفسهم.

المستهدفون الذين توجه إليهم المطالب.

جمهور من نوع آخر.»[40] بالتالي فالمطالب في دول الربيع العربي استهدفت السلطة (تكنوقراطيين' رجال دين'

36– تشارلز تلي' مرجع سابق ' ص 15.
37– المرجع السابق ' ص 19–18 .
38*هذه الملاحظة نصحني بهاالأستاذ عبد الغني مغربي :لا غنى لعلماء الاجتماع عن التاريخ.
39نفس المرجع ' ص 35–34.
40– نفس المرجع ' 38.

ملاك ' مرتزقة وبالتالي فالحركات الاجتماعية في العالم العربي ليست حركة منفردة لأصحاب مطالب أو مستهدفين بتلك المطالب بل هي تفاعل بين العناصر السالفة الذكر' لأنه كما حدث في مصر وتونس وسوريا تتحرك ككتلة مستديمة الحركة بين إملاء المطالب وضرورة تغيير النظام السائد والمطالبة بالحرية في نفس الوقت وكأن هناك نوع من الانفصام في المطالب'فهذه العروض الاحتجاجية انطوت على الصفات الموحدة التي ذكرناها سلفا' في شكل معاني ورموز بإمكان الجمهور التعرف عليها' وعلى سبيل المثل نحلل الحركة الاجتماعية في مصر مثلا:

الجدارة : وهي التصرف بوقار خاصة من طرف جماعة الإخوان المسلمين ' من ناحية الهندام والمظهر العام إضافة إلى حضور شخصية دينية ووجهاء سياسيون تأييد لعلماء دين مصريين منفيين كالقرضاوي.

الوحدة : متمثلة خاصة في شارة اليد الرمزية للرقم 4 إشارة لميدان رابعة العدوية ' إضافة إلى وضع لباس وشارات على الرؤوس والأقمصة موحدة إضافة إلى لافتات تشجب نظام مبارك ' أغاني – أناشيد – .

العدد : هو التجمهر في مختلف المحافظات المصرية مع التركيز على الميادين التي هي بوسط المدن خاصة العاصمة القاهرة ' إضافة الكثافة العددية لملأ الشوارع بالاعتماد على الرسائل النصية للهواتف ومواقع التواصل الاجتماعي .

الالتزام : تحدي ظروف الطقس ' إضافة إلى مشاركة لمختلف الفاعلين الجمعويين (جمعيات كبار السن و المعاقين) مقاومة القمع بمواجهة شرطة مكافحة الشغب ' التضحية الاستعراضية بتقمص الهوية الرمزية المتمثلة في–رمزية الشهيد– التبرع بالأموالمع تحديد يوم الجمعة كيوم اعتصام نظرا لتجمع الناتج عن الصلاة واستعمالها كوسيلة تفاعل رمزي' بحيث يسهل الوصول إلى النشطاء المشاركين وسرعة التواصل وانتقال المعلومات بينهم .فهذه التعبيرات تتنوع بشكل مختلف من منطقة لأخرى في بلدان الربيع العربي' غير أن التشابه يكمن في طبيعة التواصل العام بين مختلف الفاعلين المؤطرين لهذه الفضاءات .

فتشير أطروحة ماكس فيبرإلى أن الأشكال الجماعاتية تعني العلاقات المبنية على الشعور الذاتي' التقليدي أو الانفعالي بالانتماء إلى نفس الجماعة وهي تخص نمطين واسعين من الفعل يتضمنان شكلين للرابط الاجتماعي ' شكل يستند إلى قوة التقليد (صلات منقولة بالنسب والمورث الثقافي) وشكل ينتج عن التماهي الجماعي والانفعالي مع الزعيم الكارزمي.[41] حسب نظرة المتجمهرين الإخوان ممثلا في مرسي ونظرائهم ممثلا في السيسي' إضافة إلى الصلة الأداتية للوسائل والغيات والتشارك الإرادي للفاعلين دفاعا عن مصالحهم .

إن هذه الحركات ليست بالجديدة بل لها مايبررها في السياق التاريخي» فقبل عام 1750 وفي مثال يوافق السياق' سعى البروتستانت من خلال «حركة الاصلاح الديني خاصة التي تبانها يوهان كالفن1509–1564»[42] من خلل حق ممارستهم لعقيدتهم فنتج عنها انقسامات محورية في أوربا تسببت في حرب لمدة قرنين من الزمن .»[43]

أما في القرن الحادي والعشرين فتطورت أشكال الحركات الاجتماعية فاعتمدت على الثورة المعلوماتية خاصة

41كلود ديبار ' أزمة الهويات. تر: رندة بعث' ط1'المكتبة الشرقية' لبنان' 2008' ص 62–61.

42– Joachim schoeps(H.)'Religionenwesenundgeschichte. Im Bertelsmann Lesering'Deutschland'1961'p343.

43–تشارلز تلي ' مرجع سابق ' ص 40.

وسائل التواصل الاجتماعي من مواقع وهواتف ذكية وغيرها لتسهيل الوصول لمختلف الفاعلين وتوجيههم نحو المرامي التي تسعى الحركة الاجتماعية للمطالبة بها أو الدفاع عنها' فعلى سبيل المثال لا الحصر قبل أن يظهر ما يسمى بالربيع العربي وما نتج عنه من مد وجزر'وكثرة الكلام حول استعمال الرسائل النصية للهواتف ومواقع التواصل الاجتماعي قصد الاجتماع والتجمهر في ميادين تلك البلدان فإنه سبقها حركات اجتماعية استعملت هذه الوسائل وبشكل ذكي وسبب تأخر هذه التقنية في بلدان العالم العربي راجع لتخلف وخواء البنية الاجتماعية والثقافية العربية' ظهرت حركة اجتماعية في مانيلا بالفليبين وما حولها' في سنة 2001 تجمع المتظاهرون من خلال رسائل الهاتف النقال نصها :توجهوا إلىإدسا بملابس سوداءGo 2 EDSA' Wear Blackحيث تجمع أكثر من مليون شخص مطالبين برحيل الرئيس فرناند ماركوس.....فكان هذا التجمع حاسما في تاريخ الفلبين أسفر عن تحول رئيسي للسلطة في تلك البلد المضطربة .يضيف خبير التكنولوجيا هوارد راين جولد من خلال المغامرة الفليبينية نذيرا لوقوع ما يدعوه الحشود الذكية mobs Smart الناس القادرون على العمل مع بعضهم البعض وإن كانوا لا يعرفون بعضهم البعض. أيضا في نوفمبر 1999 قامت جماعات مستقلة ولكن متشابكة من المتظاهرين ضد اجتماع منظمة التجارة العالمية باستخدام تقنية التعقب Swarming والهواتف المحمولة والمواقع على النت.

في سبتمبر2000 ثار ألاف المواطنين ببرلين بسبب الزيادة المفاجئة في الأسعار فاستخدموا خدمة الرسائل القصيرة ونظام الاتصال بالراديوCB radios .

مظاهرات عنيفة في تورنتو ربيع عام 2000 سطرتها مجموعة من الباحثين سجلوا بالفيديو كل ما شاهدوه واستعملوا شبكة الانترنت .[44]

يعبر تشارلز تلي أن نشاط الحركات الاجتماعية في بداية القرن الحادي والعشرين قد أدمجوا تقنيات جديدة في تنظيمهم ورفع المطالب' مقارنة بحركات القرن العشرين فنجد أن الشبكات المنظمة للنشطاء على المستوى الدولي والمنظمات الغير حكومية والمنظمات المالية ..الخ كلها حاضرة بشكل بارز في الحركات الاجتماعية خاصة في الأجزاء الأغنى في العالم ومنه يحذر تشارلز تلي من المخاطر التالية[45] :

- تجنب الحتمية التكنولوجية: الاعتراف بأن الملامح الأحدث للحركات الاجتماعية تنتج عن التغيرات في سياقاتها الاجتماعية والسياسية أكثر من كونها تنتج عن الابتكارات التقنية.
- تختلف الحركات الاجتماعية في القرن الحادي والعشرين عن حركات القرون السابقة لها' لاستخدام تقنيات الاتصال وهذه الأخير تأخذ اتجاهين'الأول تخفض العشرين.التنسيق بين النشطاء أما الاتجاه الثاني انها تستبعد وبشكل أكثر تحديدا من يفتقدون لوسائل الاتصال الجديدة.
- أن معظم نشاط الحركات الاجتماعية في القرن الحادي والعشرين مازال يعتمد على أشكال محلية وإقليمية ووطنية من التنظيم سادت بالأساس في أواخر القرن العشرين .
- ضرورة ملاحظة أن العولمة تشكل التوزيع العالمي للحركات الاجتماعية متجنبين الافتراض القائل بأن

44- المرجع السابق ' ص 199.
45نفس المرجع ' ص200.

مجابهة العولمة وحركة مناهضة العولمة تسيطر حاليا على هوامشه الحركات الاجتماعية.

من خلال تحذيرات تشارلز أن تجاهل هذه التحذيرات يمكن أن يحجب عنا رؤية التغيرات الاجتماعية الحقيقية التي تؤثر على صنع المطالب على مستوى العالم ويحجب عنا استمرار وجود القضايا المحلية والاقليمية والوطنية في الحركات الاجتماعية ' وهذا فعلا ماحدث نتيجة الربيع العربي إذ انشغل الإعلام الذي غذى أكثر هذه الحركات خاصة قنوات الفضائية بين مؤيد ومعارض حجب قضية الأمة وهي القضية الفلسطينية من التداول في وسائل الإعلام مقارنة بحركات الاجتماعية في بلدان العربية'وبذلك أضحت السياسة في العالم العربي عبارة عن مسرح كبير لعرائس «الكرا كوز» تجري فيه التمثيلات التي تقاس أثناءها ميزات الممثل وتحاكم عبر وسيلة إعلام وسيطة مثلتها أكثر الفضائيات الاخبارية.

يعالج كلود ديبار اشكالية هذا التحول الذي ينبثق من تحييد المعنى الرمزي – التحول المشهدي – عبر ثلاث استبدالات تكميلية :استبدال زمن الفعل' واستبدال اللغة المستخدمة واستبدال الموضوع المعني.[46]

فحركات الاجتماعية في البلدان العربية تم تغذيتها الرمزية والتفاعلية عبر شبكة إعلامية سياسية' لأنه وحسب ديبار أن زمن وسائل الإعلام 'زمن السياسة هو زمن مفكك إلى أحداث يتم انتقائها واظهارها واخضاعه إلى منطق الجدة باستمرارفما إن يجري إظهار الحدث السياسي حتى يتم نسيانه ويستبدل به حدث آخر...زمن الأخبار هو زمن سيولة الحاضر الأبدي ' لم يعد زمن وسائل الإعلام يفسح المجال للحظات الريبة ' لإعادة النظر لإقامة تواصل شخصي بين تمثيلات رمزية وتطويرات ذاتية ' موضوعية وسائل الإعلام المزعومة –ضغوط الأخبار – واختيار المواضيع وانتقاء المتدخلين إنها زمنية متسلسلة تاريخيا خطية تفرض نفسها كواقع جديد' لأن لغة الوقائع والقرارات التي يتم تقديمهامن طرف فاعلين يسهل هضمهم 'لغة إغواء لا اقناع وتزويقية فهذا الاخراج السياسي تحول إلىتمثيل إعلامي متلقين عاجزين أو منفعلين أو مذعنين أو لا مبالين وهم يشاهدون مناظرات خطابية بين رجال سياسة محترفين يتوجب عليهم التماهي معها فأصبحت العلاقة ين هؤلاء الممثلين السياسيين والإعلاميين حميمية عليهم النجاح في تمثيلهم وامتع الجمهور وإثارة التعاطف .[47]

فيطلقمارك أوجيهمصطلح ما فوق الحداثة على هذا الشكل من التسويق الإعلامي السياسي المتضمن لترميز الهويات الجماعية' الافراط في الصور وفي الشخصنة وفي الهوية.[48]

فهذا الإفراط في الشخصنة حول السياسيين مثل نجوم الأفلام والرياضة وغيرهم من المشاهير فأصبح المشاهد بمجرد أن يرى الصوريقيم صلة حميمية مجردة بعيدة عن الواقع وكأنه مثل سحرة فرعون يخيل إليهم من سحرها أنها تسعى إنه السحر الرمزي المعقول يجعلهم يتماهون مع النجم السياسي ويدافعون عنه لأنه استرهبهم واستخف عقولهم فأطاعوه .كشف إدغار موران في كتابه « النجوم « سنة 1964 المكانة التي احتلها المشهد التخيلي والدور الذي لعبته السينما 'لأن إبراز موقع نجوم السينما والرياضة والسياسية إلى أقصى حد أثار تماهيا متفاقما لدى الشباب لدرجة الرغبة في الشهرة وأن يصبحوا أحدا ما وغالبا ما تكون خيبات الأمل شديدة المرارة.[49]

46– كلود ديبار' مرجع سابق'263.

47– نفس المرجع ' ص 265–264.

48– Marc (A.)' Pour une anthropologie des modes contemporains. Flammarion' Paris. 1994:انظر

49– Edgar(M.)' Les stars' seuil'France'1964.:انظرأيضا

فحركات الاجتماعية في عالمنا عامة والعربي خاصة هي نتاج للعجز الرمزي والمفرط والمبالغ فيه الذي أطلق العنان للسياسة أيإلى أزمة أنا والأخر فاضطربت الصورة بالغير فبدل التفاهم النزاع وإقصاء الآخرالمنظور إليها على أنه جماعة هامشية في شكل سيرورة إلغاء الاحتواء الاجتماعي للآخر ' نعم إنه البؤس الاجتماعي الحديث 'ممثلا في اغتراب الفرد العربي فكما شخصها عبد الحليمبركات على أنها ظاهرة اغتراب لأن مصادر إعجاز العربي هوعدم قدرته على التغيير وتجاوز الأوضاع السائدة في القرن الحادي والعشرين' حيث أظهر حليم بركات أن المؤسسات الاجتماعية المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والعائلية والدينية هي هرمية قمعية في بنائها التنظيمي' فكما قال بن تيمية أن الله خلق العباد لعبادته ' صار جليا أن سلطة الدولة والعائلة والدين والعمل في البلدان العربية تتصرف في واقع الأمر وكأن الشعب خلق لعبادتها وخدمتها والامتثال الطوعي لإرادتها ' هكذا أصبح الفرد والمجتمع عاجزا عن تحكمه في موارده المادية والروحية وفي علاقته بالأخر'»»[50] فحالة الاغتراب كما شخصها حليم بركات تتصل بمشكلات تفكك البناء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي وتدهور القيم والتبعية للخارج والطائفية... الخ ' إضافة إلى أن سلوكنا الاجتماعي وبنية العائلة العربية مؤخرا عرفت تحولات ثقافية واجتماعية نتيجة ضجة شاشات التلفاز وتغير الرأسمال الرمزي للأسرة خاصة البرامجالمستوردة من أفلام ومسلسلات فانتقالنا من مستوى الاستهلاك الغذائي الماديإلى مستوى الاستهلاك الرمزي مما أثر على تشكل شخصية الفرد في إطار الاسرة ' «لأن العائلة كمؤسسة اجتماعية هي الوسط الفعلي والحقيقي بين الفرد والحضارة التي ينتمي إليها' كما أن منظومة التعليم خارج إطار العائلة تتميز بصفتين من جهة تقلل من الاقناع والمكافأة ومن جهة أخرى تزيد من أهمية العقاب الجسدي والتلقين «[51] فالتربية التي يتلقاها العربي في عائلته كما يراه هشام شرابي هي تربية برجوازية' وهذا الوصف الذي قدمه الباحث لا ينطبق على المجتمع كبناء كلي بل على شخصية الفرد البرجوازي النابعة من ثقافة الاقطاعية البرجوازية 'فسلوك الاجتماعي في البلدان العربية متمثلا في « الاتكالية والعجز والتهرب هي من صميم السلوك البرجوازي الاقطاعي وهذه المتغيرات الثلاثة تجسد شعورا بعدم القدرة ' فالاستجابة العفوية المباشرة تجاه المصاعب نجدها في قول «لا أقوى على ذلك « كما تلعب البيئة دورا هاما في خلق التنافس أما إن كانت تحدد سلفا سلوك الفرد ودوره في المجتمع تجعل الفرد ميالا للخضوع والاتكالية' لأن الطفل في العائلة البرجوازية الاقطاعية من خلال تعامله مع ذوي السلطة أب أو معلم ' فإنه يتعلم كيف يقمع عدوانيته تجاه السلطة وثانيا كيف يتحاشى مواجهتها وهذا بالضبط ما يؤدي للاتكالية والخضوع' فالثقافة البرجوازية الاقطاعية الكامنة في البناء الاجتماعي العربي تقدم وسائل التغطية والتهرب من المسؤولية عن طريق المواقف الشكلية التي تؤدي إلى إخفاء الواقع وجعله أكثر استساغة.»[52] فالتحليلات التي قدمها كل من حليم بركات وهشام شرابي تدل على ضعف وخواء شبكة العلاقات الاجتماعية العربية وضعف تأطير الفاعلين للفضاءات التي تعمل الحركات الاجتماعية في ضوئها نابعة من الأنظمة التي تعيش في كنفها التي تتميز بتقلبات وتغيرات بين البطء و التغير العنيف المفاجئ جعلها تبحث عن سبيل الخلاص الذي يمكنها من المحافظة على نمطها واستقرارها .

50- حليم بركات ' الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع.ط1'مركزدراسات الوحدة العربية' بيروت ' 2006'ص10-7.

51- هشام شرابي' مقدمات لدراسة المجتمع العربي.ط3' الدار المتحدة للنشر' لبنان' 1984'ص48-31. (بتصرف.)

52- نفس المرجع ' ص 65-59.

لكن ما يثير ويلفت الانتباه هو خواء الاجتماعي كما يراه الباحث بويحياوي عبد الكريم[53]' من خلال معالجته للاتصال والبعد الزمكاني لظاهرة الخواء ' لأن في نظره أن الاتصال يشكل الفضاء المتعدد الأبعاد ' أين تنشط كل الحساسيات الخفية وأين تتفاعل مع غيرها ' فالحركات الاجتماعية في الوطن العربي تتشكل خيوطها تبعا لعامل الكثافة والعدد والتأثير والانتشار لأن حسب الباحث تعتبر خاصية حاسمة في الخواء الاجتماعي والحركات هذه نابعة من ذلك الخواء الاجتماعي فالاتصال في هذه الحالة يعمل في مجال مفتوح أين تتفاعل مختلف الحركات والاحتجاجات والأفعال مهما كان نوعها مستترة أو ظاهرة أو متحركة لتبرر مواجهة للآخر «لأن السلوك ومساره محددان بالاتصال كمعبر متميز وحيوي يمكنه من الارتباط بأبعاد زمنية مختلفة ومتباعدة كما أن السلوك يتغذى بالقيم ' لأن هذه الأخيرة تلعب دور الطاقة التي تدفع بكل الأفعال إلى انتا ردود أفعال حسب المتغيرات الآتية من المحيط لأن لا يمكن تصور حركة اجتماعية دون عملية اتصالية اجتماعية معينة مستندة إلى المحيط الثقافي الذي يسبح فيه الانسان 'فنفسر هذا أيضا إلى طبيعة اللغة والتبادل اللفظي أيضا لأنها تزيد من تنافر أو تقارب الأفراد ' لأن أي اضطراب في الاتصال يمكن ملاحظته عبر طبيعة اللغة المستعملة ومدى وضوحها ' لأن فعالية التبادلات الاجتماعية مهما كانت طبيعتها متعلقة بتوازن المراجع الذهنية والهياكل التخيلية مع المحيط الخارجي»[54] وهذا مالاحظناه في حركات الربيع العربي لأن هناك اختلال في نمط التبادل الرمزي بين الفاعلين والأخر مما نجم عنه صراع خفي ثم معلن مما اضطربت علاقات الاتصال من جراء الاستعمال الخاطئ للدلالات والرموز' يرى بياجيه «أن اللغة المستعملة لتوصيل الفكر فمن الملاحظة الموضوعية المقترنة بالمعلومات والمعطيات العلمية ' تنقل اللغة مشاعر وأحاسيس ذاتية تكون غالبا مرتبطة بالانتقادات الحادة والمشاعر الاستفزازية والعدوانية وهذه النقطة هامة لأنها تمثل مصدر الصراعات والاصطدامات الشخصية والاجتماعية في التبادل والاتصال .»[55]

فالحركات الاجتماعية في الوطن العربي ناشئة نتيجة عاملين الأول ضعف في التكوين النفسي والمتمثلة في شخصية الاقطاعي أين تبرز ملامح الاتكالية والتهرب والخضوع لأنه مازال يعيش حقبة العصور الوسطى أين سيطرة نبلاء السيف ونبلاء الجبة وبين خواء في البناء اجتماعي في ظل ذلك تبرز وسائل الإعلام كإحدى المرجعيات الغذائية لثقافية فئات كثيرة من الناس في بلداننا' لأن على الرغم من أننا نميل إلى الاعتقاد بأن» أحرار الرجال وجدوا في زمن ما أو في مناخ ما ' فإن إخضاع وقهر أغلبية مثل القاعدة على مر العصور وقد تم هذا الاخضاع بوسائل مختلفة حسب كل مجتمع وحالته' أو مستوى الموارد المتاحة لطبقة الحكم المسيطرة ' فكان الهدف الرئيسي هو الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من الناتج الاجتماعي للأقلية المتميزة. مع ترك ما يكفي لضمان استمرار قوة عمل الأغلبية الأقل حظا .» [56]أما مقاربة سكوكبل تختلف عن المقاربة السابقة لتلي التي ترى بأن الثورات يحركهاالسعي لتحقيق المصالح أماسكوكبل اعتبر أن هذه الحركات تعاني من غموض أهدافها ومن تردد وتأرجحها' حيث ركز على الثورة الفرنسية والروسية والصينية في تحليله'وأنها تنتج من ظهور بعض

53- عبد الكريم بويحياوي ' الخواء الاجتماعي دراسة تحليلية لظاهرة اللانظام المنظم.أطروحة دكتوراه' قسم علم الاجتماع 'جامعة الجزائر 2' الجزائر ' 2007/2008 . بتصرف لأن الأطروحة تحتوي على :ص 908.

54- نفس المرجع ' ص304.

55- نفس المرجع' ص 324-323.

56- هربرتشيللر' المتلاعبون بالعقول.تر : عبد السلام رضوان' ط1'المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون' الكويت'176-175'1999.

*هربرتشيللر أستاذ مادة الاتصال في جامعة كاليفورنيا 'بسان دييجو ' اشتغل أيضا بـ: جامعة أمستردام ' إلينوي' معهد «برات» بنيويورك. من مؤلفاته أيضا' وسائل الاتصال والامبراطورية الأمريكية1971.

الشروط البنائية المواتية للغيرداخل نظام حكومي قائم ’مع تأكيده على أهمية السياق الدول في تهيئة الظروف التي تؤدي إلى الثورات الاجتماعية’أي تقوم ثورات عندما تفشل الحكومة في أن تتوافق مع متطلبات المواقف العالمية المتغيرة فتستغل الحركات الاجتماعية هذه الضغوط[57]’ يقول:» وذلك بسبب الأنشطة المقصودة لتحقيق هذه الغايات سواء من جانب الثوار أو من جانب جماعات سياسية قوية داخل النظام القديم. مع حدوث مظاهر خلل سياسي اداري ’ ويرجع السبب إلى أن الدول الإمبريالية تصبح عرضة لضغوط ...خاصة من الأبنية الطبقية المختلفة»[58]. فيرى جيدنز أن سكوكبل على حق عندما يؤكد بأن الثورات الاجتماعية الكبرى ليست مجرد نتيجة لحركات منظمة تتجه نحو الاطاحة بالنظام القائم. ولكنها من المحتمل تكون قد بالغت في تصور التعارض بين الصور الهادفة للتغير وتلك التي تظهر من جراء التناقضات البنائية. وأن الحركات الاجتماعية تتضمن ضربا من التنظيم القوي والفعال للأنشطة الانسانية وخدمة الأهداف الجمعية. [59]

خاتمة:

مما سبق حاولنا تقديم نوع مت التحليل والتوصيف لتقنيات الإعلام الحديث وتأثيرها في الحركات الاجتماعية ’ وتوجيهها لسلوكيات مختلف الفاعلين وكيف تسطير مختلف المؤسسات على المعلومات ’ فالحقائق الواقعية تثبت أن مستقبلنا سيفرض عليه تنظيم صارم في كل المجالات الاجتماعية’ الثقافية’ المادية’ وهذا ما تبرزها حركات المعارضة الجديدة خاصة في البلدان العربية وأكثر حدة من ذي قبل لأن ظهور الفئات المتعلمة في حاضرنا صعب من مأمورية موجهي العقول وتضليلها رغم منجزات التكنولوجيا’ لأنه من المتوقع أن الضيق الاجتماعي إن صح التعبير الذي يمارسه المتعلمون والطلاب والعمال الصناعيون ’ ومختلف الفاعلين الاجتماعيين’ من المؤشرات التي ساعدت على انتشار مشاعر الضيق وتخليها عن تأييد الآخر المتمثل في النظام’ ويرجع ذلك إلى عدم التواصل الذي يفترض قبول علاقات انسانية واجتماعية تحكمها قيم العدالة’ غير أن الإعلام الحديث بالرغم من سرعة نقله للمعلومات والرسائل والدلالات إلا أنه يحجب عن غير قصد حقيقة عدم التواصل الاجتماعي ’ فالنزعة النيوليبرالية ساهمة في تكريس عدم التواصل الاجتماعي إذ صار الواحد فينا حتى يعبر عندعوته لضيف أو تحيات يوم العيد ...الخ يرسل رسالة عبر الهاتف أو مواقع التواصل أو البريد الإلكتروني يعبر فيها عن ذلك’ مع هذه النزعة أيضا تزداد وتيرة التنوع الثقافي والمطالبة به خاصة ما يسمى التعايش الثقافي والتسامح فهي شماعة سياسية بامتياز تكرس قبول الآخر مهم كان’فوسائل الاتصال الحديثة صارت أرخص من ذي قبل وأكثر وفرة ’ تتيح لعدد كافي من البشر أن يعرفوا الممارسات المختلفة وأن يدركوا أنفسهم أحيانا يقول لاسويل هارولد :» إن المرء لا يغير رأيه بالضرورة بسبب أنه أصبح واعيا بالعوامل التي تدخل عادة في تشكيل هذا الرأي ’ لكن لو أن العوامل المحددة لرأي المرء أصبحت ماثلة في ذهنه باستمرار فسوف يتراجع احتمال أن يسأل الفرد العادي نفسه عما إذا كانت استجابته ’ على رغم أي شيء معقولة إذا نظر إليها في ضوء كل المعلومات المتوافرة لديه.» [60]

فالأزمة التي يعيشها مجتمعنا العربي هي أزمة على مستوى البناء الاجتماعي الذي يمر بمرحلة خواء وكذلك أزمة على مستوى البناء النفسي للفرد العربي الذي مازال يعيش حالة من الاغتراب والقهر النفسي بسبب مظاهر

57- أنتوني جيدنز’ مقدمة نقدية في علم الاجتماع. تر: أحمد زايد وآخرون’ ط4’ كتب عربية’ مصر’ ص 133-132.

58-Skocpol ’States and social revolutions. Cambridge university press’ Cambridge’1979’p285.:أنظر

59- أنتوني جيدنز’ مرجع سابق’ ص 135-134.

60- هربرتشيللر’ مرجع سابق’ ص223.

الاتكالية والخضوع والتهرب تلك الممارسات التي شكلت نموذج رجل العصور الوسطى في أوربا ناهيك عن مشكلة بنية تكوينه العقلي من جهة وانفصال هويته الفردية عن الجماعية من جهة ثانية فمختلف الممارسات التي طبعت الحركات الاجتماعية في العالم العربي ما هي الا تعبير صادق عن ضعف شبكة العلاقات الاجتماعية في تأطير الحقل الثقافي والسياسي' إضافة إلى التضليل الإعلامي العربي والعالمي' بالرغم من ذلك فإن هذه الممارسة عرفت نمو وانتقال من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي ' لأن الرابط الالكتروني غير وساهم في احداث انحدارات في السلطة .

قائمة المصادر المعتمدة :

- أنتوني جيدنز ' علم الاجتماع. تر: فايز الصياغ ' ط 4 ' المنظمة العربية للترجمة ' لبنان'2001.
- أنتوني جيدنز'مقدمة نقدية في علم الاجتماع. تر: أحمد زايد وآخرون' ط4' كتب عربية' مصر' 2001.
- إبراهيم عيسى عثمان ' مقدمة في علم الاجتماع. ط2' دار الشروق ' الأردن ' 2009 .
- ألان توران' نقد الحداثة .تر: أنو مغيث'ط1 ' المجلس الأعلى للثقافة' مصر ' 1997.
- بورديو بيير'التفزيون وآليات التلاعب بالعقول . تر: درويش الحلوجي' ط 1' دار كنعان' دمشق' 2004 .
- بودون ريمون' بوريكو فرنسوا' المعجم النقدي لعلم الاجتماع. تر: سليم حداد ' ط1' ديوان المطبوعات الجامعية ' الجزائر ' 1986.
- بركات حليم' الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع.ط1'مركزدراسات الوحدة العربية' بيروت ' 2006.
- بنعبد العالي عبد السلام' ميتولوجيا الواقع. ط1'دار توبقال ' المغرب ' 1999.
- البياتي ياس خضير' المجتمع الخليجي و إشكاليات تأثير الصورة المتلفزة. مجلة الباحث الإعلامي' العدد الثامن' جامعة بغداد ' العراق'2010.
- بويحياوي عبد الكريم' الخواء الاجتماعي دراسة تحليلية لظاهرة اللانظام المنظم. أطروحة دكتوراه' قسم علم الاجتماع 'جامعة الجزائر 2' الجزائر ' 2007/2008 .
- هربرتشيللر' المتلاعبون بالعقول. تر : عبد السلام رضوان' ط1'المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون' الكويت'1999
- ديبار كلود ' أزمة الهويات. تر: رندة بعث' ط1'المكتبة الشرقية' لبنان' 2008.
- ليبوفيتسكي جون ' سيرو جون' شاشة العالم : ثقافة – وسائل إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة. تر :راوية صادق ' ط1 ' المركز القومي للترجمة ' القاهرة ' 2012 .

- سلاطنية بلقاسم و آخرون ' علم الاجتماع الاتصال . ط1 ' دار الفجر ' القاهرة'2012.
- عابد زهير ' دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعبئة الرأي العام الفلسطيني نحو التغيير الاجتماعي والسياسي دراسة وصفية تحليلية .مجلة العلوم الانسانية ' المجلد 26 (6) ' جامعة النجاح ' فلسطين' 2012.
- عبد المعطي عبد الباسط' اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. ط1'عالم المعرفة' الكويت' 1980.
- صادق عباس مصطفى ،الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العام. البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، 2011.
- راضيزاهر ، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي.مجلةالتربية،عدد 15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003.
- خواجة عبد العزيز' أساسيات في علم الاجتماع . ط1' دار نزهة الألباب' غرداية ' 2012.
- شرابي هشام' مقدمات لدراسة المجتمع العربي.ط3' الدار المتحدة للنشر' لبنان' 1984.
- تلي تشارلز ' الحركات الاجتماعية 2004-1768.تر:ربيع وهبه'ط1'المجلس الأعلى للثقافة'مصر'2005.
- Augé Marc' Pour une anthropologie des modes contemporains. Flammarion 'Paris.1994.
- Bourdieu Pierre'Interventions'1961-2001.sience sociale et action politique.Edition Agone' France.
- Edgar Morin' Les stars. seuil'France'1964.
- Joachim Hans 'Religionenwesenundgeschichte. Im Bertels-mann Lesering'Deutschland'1961.
- Scott John 'Sociology the key concepts. 1st published ' Routle-dge ' New York '2006.
- Skocpol' States and social revolutions. Cambridge university press' Cambridge'1979.
- Touraine Alain 'Le retour de l'acteur.Faiyard'Paris'1984.
- WoltonDominique'Informern'est pas communiquer.CNRS Edition .' Paris' 2012
- http://computing dictionary thefreedictionary.com/new+media